

بسم الله الرحمن الرحيم

برنامج حياة الشباب في صدر الإسلام

الحلقة السادسة والعشرون بعد المائة

ابن تيمية (رحمه الله)

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خير الأولين والآخرين ، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد :-

أيها المستمعون الكرام، معشر الشباب ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، نقف اليوم مع حياة علم من أعلام الإسلام ، ممن برع ي حدثاته سنه ، ففاق أقرانه ، وأعجب أهل زمانه . إنه شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن تيمية رحمه الله . كان للشيخ (رحمه الله ) أخبار عجيبة في حدثاته سنه تدل على نبوغه وتفوقه ، كما كان لبذله في حدثاته سنه من الجد والاجتهاد في العلم والعمل الأثر الكبير في تكوين شخصيته المتميزة في جوانب عدة .

فمن جهة ورعه فقد كان (رحمه الله) في الغاية التي ينتهي إليها في الورع لأن الله تعالى أجراه مدة عمره كلها عليه فإنه ما خالط الناس في بيع ولا شراء ولا معاملة ولا تجارة ولا مشاركة ولا زراعة ولا عمارة ولا كان ناظرا مباشرا لمال وقف ولم يكن يقبل جناية ولا صلة لنفسه من سلطان ولا أمير ولا تاجر ولا كان مدخرا دينارا ولا درهما ولا متاعا ولا طعاما وإنما كانت بضاعته مدة حياته وميراثه بعد وفاته (رحمه الله) العلم اقتداء بسيد المرسلين وخاتم النبيين محمد (صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين) فإنه قال: إن العلماء ورثة الأنبياء وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما إنما ورثوا العلم فمن أخذ به فقد أخذ بحظ وافر .

وفي أخبار ورعه (رحمه الله) فإن الله تعالى جعل ذلك له شعارا من صغره ومن عجيب أخباره في ذلك وهو صغير ، عن شيخه الذي علمه القرآن المجيد قال قال لي

أبوه وهو صبي يعني الشيخ أحب إليك أن توصيه وتعهده بأنك إن لم تنقطع عن القراءة والتلقين أدفع إليك كل شهر أربعين درهماً ، قال ودفع إلي أربعين درهماً وقال أعطه إياها فإنه صغير وربما يفرح بها فيزداد حرصه في الاشتغال بحفظ القرآن ودرسه وقل له لك في كل شهر مثلها فامتنع من قبولها وقال يا سيدي إني عاهدت الله تعالى أن لا آخذ على القرآن أجراً ولم يأخذها .

معشر الشباب ، في هذا الخبر عبرة وعظة لطلابنا وشبابنا الذين وفقهم الله سبحانه وتعالى لقراءة لشغل أوقاتهم بدراسة القرآن وحفظه في حلق التحفيظ ، أن يجتهدوا في ذلك ويخلصوا فيه النية لله جل ووعلا ، وعلى أوليائهم ومشايخهم رعايتهم وتعاهد أحوالهم في متابعة الحفظ وختم القرآن .

ومن زهد شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله) لم ير في زمانه مثله في الزهد في الدنيا حتى لقد صار ذلك مشهوراً بحيث قد استقر في قلب القريب والبعيد من كل من سمع بصفاته على وجهها بل لو سئل عامي من أهل بلد بعيد من الشيخ من كان أزهد أهل هذا العصر وأكملهم في رفض فضول الدنيا وأحرصهم على طلب الآخرة لقال ما سمعت بمثل ابن تيمية (رحمة الله عليه) وما اشتهر له ذلك إلا لمبالغته فيه مع تصحيح النية ، لم يسمع أنه رغب في زوجة حسناء ولا سرية حوراء ولا دار قوراء ولا ممالك جوار ولا بساتين ولا عقار ولا شد على دينار ولا درهم ولا رغب في دواب ولا نعم ولا ثياب ناعمة فاخرة ولا حشم ولا زاحم في طلب الرئاسة ولا رئي ساعياً في تحصيل المباحات مع أن الملوك والأمراء والتجار والكبراء كانوا طوع أمره خاضعين لقوله وفعله وادين أن يتقربوا إلى قلبه مهما أمكنهم مظهرين لإجلاله أو أن يؤهل كلا منهم في بذل ماله فأين حاله هذه من أحوال بعض المنتسبين إلى العلم وليسوا من أهله ممن قد أغراه الشيطان بالوقوعة فيه بقوله وفعله أترى ما نظروا ببصائرهم إلى صفاتهم وصفاته وسماتهم وسماتهم وتحاسدهم في طلب الدنيا وفراغه عنها وتحاسدهم في الاستكثار منها ومبالغته في الهرب منها وخدمتهم الأمراء واختلافهم إلى أبوابهم وذلل الأمراء بين يديه وعدم اكتراثه بكبرائهم، وصدعه إياهم بالحق وقوة جأشه في محاورتهم بلى والله ولكن

قتلتهم الحالقة حالقة الدين لا حالقة الشعر وغطى على أحلامهم حب الدنيا السارقة سارقة العقل لا سارقه البدن حتى أصبحوا قاطعين من يأتيهم في طلبها واصلين من واصلهم في جلبها .

وكان (رحمه الله) مع شدة تركه للدنيا ورفضه لها وفقره فيها وتقلله منها مؤثرا بما عساه يجده منها قليلا كان أو كثيرا جليلا أو حقيرا لا يحتقر القليل فيمنعه ذلك عن التصديق به ولا الكثير فيصرفه النظر إليه عن الأسعاف به فقد كان يتصدق حتى إذا لم يجد شيئا نزع بعض ثيابه المحتاج إليه فيصل به الفقير وكان يستفضل من قوته القليل الرغيف و الرغيفين فيؤثر بذلك على نفسه وربما خبأهما في كفه ويمضي ونحن معه لسماع الحديث فيراه بعضنا وقد دفعه إلى الفقير مستخفيا يحرص أن لا يراه أحد وكان إذا ورد عليه فقير وآثر المقام عنده يؤثره عند الأكل بأكثر قوته .

وحدث أحد أصحابه أنه أقام بحضرة الشيخ مدة طويلة قال فكان قوتنا في غالبها أنه كان في بكرة النهار يأتيني ومعه قرص قدره نصف رطل خبزا بالعراقي فيكسره بيده لقما ونأكل منه أنا وهو جميعا ثم يرفع يده قبلي ولا يرفع باقي القرص من بين يدي حتى اشبع بحيث أني لا أحتاج إلى الطعام إلى الليل ، ثم يبقى إلى بعد العشاء الآخرة حتى يفرغ من جميع عوائده التي يفيد الناس بها في كل يوم من أصناف القرب فيؤتي بعشائنا فيأكل هو معي لقيمات ثم يؤثرني بالباقي وكنت أسأله أن يزيد على أكله فلا يفعل حتى إني كنت في نفسي أتوجع له من قلة أكله ، وكان هذا دأبنا في غالب مدة إقامتي عنده وما رأيت نفسي أغنى منها في تلك المدة .

وحكى غير واحد ما اشتهر عنه من كثرة الإيثار وتفقد المحتاجين والغرباء ورقريقي الحال من الفقهاء والقراء واجتهاده في مصالحهم وصلاتهم ومساعدته لهم بل ولكل أحد من العامة والخاصة ممن يمكنه فعل الخير معه وإسداء المعروف إليه بقوله وفعله ووجهه وجاهه .

وأما تواضعه فقد كان يتواضع للكبير والصغير والجليل والحقير والغنى الصالح والفقير وكان يدينى الفقير الصالح ويكرمه ويؤنسه ويباسطه بحديثه المستحلى زيادة على مثله من الأغنياء حتى أنه ربما خدمه بنفسه وأعانه بحمل حاجته جبرا لقلبه وتقربا بذلك إلى ربه . وكان لا يسأم ممن يستفتيه أو يسأله بل يقبل عليه ببشاشة وجه ولين عريكة ويقف معه حتى يكون هو الذي يفارقه كبيرا كان أو صغيرا رجلا أو امرأة حرا أو عبدا عالما أو عاميا حاضرا أو باديا ولا يجبهه ولا يخرجه ولا ينفره بكلام يوحشه بل يجيبه ويفهمه ويعرفه الخطأ من الصواب بلطف وانبساط . وكان يلزم التواضع في حضوره من الناس ومغيبه عنهم في قيامه وقعوده ومشيه ومجلسه ومجلس غيره . رحمه الله رحمة واسعة ، ورزقنا الاقتداء به ، كم نفع نفسه ونفع غيره بما كان عليه من العلم النافع والعمل الصالح والخلق الحسن .

أيها المستمعون الكرام ، معشر الشباب ، في الختام نسأل المولى جل وعلا أن يلهمنا رشدنا ، وأن يوفقنا لصلاح ديننا ودنيانا ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وإلى أن ألقاكم أستودعكم الله ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.